

محاضرة رقم 10:

نظرية المجال العام العمومي الافتراضي

الأهداف التدريسية:

- التعرف على مفاهيم والمرتكزات النظرية للمجال العمومي والمجال العمومي الافتراضي
- تلقين الطالب للفروض العلمية التي تركز عليها النظرية
- تحديد تحولات النظرية والخصائص العلمية ضمن السياق الافتراضي

مرتكزات الفضاء العمومي:

تنامي النقاش حول الفضاء العمومي دوره في بناء الديمقراطية وإعادة النظر في الفعل السياسي مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي، ولقد شكلت مساهمة الفيلسوف الألماني المعاصر يورغن هابرماس Jürgen Habermas أولى المساهمات التي دشنها في بداية الستينات من القرن الماضي، وبالنظر إلى هذا المفهوم من زاوية نظر معرفية من جهة، وزاوية الممارسة الملموسة من جهة أخرى، وتكمن جدة مساهمة الفيلسوف النقدي في إعادة نظره في المفاهيم الرائجة آنذاك في حقل الفلسفة السياسية وبشكل خاص في تصور حنا أرندت H Arendt حول مفهوم "الميدان العام" الذي صاغته في أواخر الخمسينيات، والسعي لبناء تصور بديل وفهم مغاير يأخذ في الاعتبار متطلبات المرحلة من أجل التأسيس لفعل سياسي ألماني ينسجم ومرحلة ما بعد النازية، ويحاول هابرماس في قراءته لأنزوت العودة إلى مساهمة الفيلسوف إيمانويل كانط E.Kant الي صاغها في كتابه "صراع الكليات le conflit des facultés"¹.

هدف هابرماس من استخدام مفهوم المجال العام إلى وصف التغيرات التي شهدتها بعض المجتمعات الأوروبية، حيث أشار إلى أن جذور المجال العام ترجع على العديد من المؤسسات الاجتماعية في هذه المجتمعات في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ظهر في الصحف، المجالات والمقاهي في إنجلترا وفي الصالونات الأدبية بفرنسا، ونودي القراءة في ألمانيا، وتطور المجال العام بعد منتصف القرن الثامن عشر ليناقد الأمور والقضايا السياسية التي كان يحظر مناقشتها، مما مهد لظهور وترسيخ الديمقراطية النيابية بشكلها الحديث، حدد هابرماس مفهوم المجال العام باعتباره كل

¹ رشيد العلوي، الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص 4، 5.

حوار يجتمع فيه الافراد دون اعتبار للفروق الاجتماعية بينهم يتشاركون نفس الاهتمامات والقضايا ويسعون للوصول لأهداف مشتركة، ويشير هابرماس للمجال العام باعتباره¹:

- جزء من الحياة الاجتماعية يتشكل في إطارها الرأي العام.
- يتكون من أفراد يتشاركون اهتمامات واحتياجات واحدة.
- مواطنون تجمعهم العقلانية في التفكير ونقاش القضايا العامة.

مفهوم الفضاء العام: يرتبط مفهوم الفضاء العمومي بالفيلسوف الألماني يورغن هابرماس حيث لاقى أول أعماله الكبرى "التحولات البنوية للفضاء العام: تساؤلات ضمن أصناف المجتمع البرجوازي" عام 1962، وترجم إلى الإنجليزية عام 1989 بعد ترجمته من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية الكثير من التعليق والتعقيب والنقاشات الثرية والمثمرة، وشمل العمل الكثير من المصطلحات المفتاحية في جل حقول المعرفة الإنسانية والاجتماعية، ويعرف هابرماس الفضاء العمومي بأنه "فضاء للتوسط يقوم فيه الأشخاص الخواص بالاستخدام العمومي العقل من أجل بناء توافق سياسي" أي أن الفضاء العمومي عبارة عن مكان يجتمع فيه الناس من أجل طرح ومناقشة المسائل والمشاكل العامة.

وبحسب هابرماس فإن فكرة المجال العام هي فكرة هيئة أشخاص عاديين تم تجميعها لمناقشة مسائل "الاهتمام العام" أو المصلحة المشتركة، اكتسبت هذه الفكرة القوة والواقع في أوروبا الحديثة المبكرة في دستور المجالات العامة البرجوازية كقوى موازنة للدول المطلقة، كان هؤلاء الجمهور يهدفون إلى التوسط بين المجتمع والدولة من خلال مساءلة الدولة أمام المجتمع من خلال الدعاية².

يمكن طرح مجموعة من المحددات من خلال التعريف السابق³:

- العمومي: ظهرت هذه الكلمة ذات الأصل اللاتيني في القرن 14 وتعني "لكل الناس" وللدلالة على ما يجمع الجميع، ويحيل مفهوم العام كذلك إلى الإعلان والنشر.
- إن الوسيلة التي تتوسط المجتمع المدني والدولة ليس الإطار في حد ذاته بل محتوى ما يتداول داخل هذا الإطار: أي الاستخدام العام لعقل والحجة، وهو ما يساعد في تشخيص بعض الإشكاليات المرتبطة بعلاقة وسائل

¹ رويدا أحمد طلب محمد، مفاهيم المشاركة وتطورها من المجال العام التقليدي حتى المجال العام الافتراضي - دراسة في تور نظرية المال العام عند هابرماس، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 69، 2024، ص 170.

²

³ نصر الدين لعياضي، إشكالية الفضاء العمومي والتلفزيون في الدول العربية، مجلة الصورة والاتصال، المجلد 1، العدد 1، 2012، ص 2.

- الإعلام بالفضاء العمومي في زمن تطورت فيه العدة التكنولوجية الحديثة وثورت التصورات لماهية الإعلام والاتصال، إلى درجة تفهقر الإعلام أمام الصعود الاستعراضي للاتصال.
- غائية النقاش: إن الفضاء العمومي يقوم على مبدأ النقاش الذي يتداول الشأن العام وهذا ما يقتضي السمو باستخدام الحجة لتجاوز المصالح الفتوية، ومصالح المجموعات ومنطق الجماعات.
 - حرية الأفراد في الاجتماع واللقاء وحرية التعبير والفكر وحرية تبادل المعلومات والآراء المختلفة، فممارسة الرقابة على الأفكار وحجبها وحظرها يؤثر سلبا على حجم النقاش الذي يجري وموضوعه.
 - يترجم الباحث جون ميشال سولان Jean Michel Salaun مبدأ النشر والإعلان بالحق في الإعلام، وهذا المفهوم أصبح أكثر تداولاً بدءاً من المنتصف الثاني من القرن العشرين ويقتضي رفع السرية على الأمور المرتبطة بالشأن العام، وجعل تسيير المرافق العامة والشأن العام أكثر شفافية بحيث يمن لأي كان أن يطلع عليها، وبهذا يسجل الفضاء العمومي قطيعة مع ممارسات السلطة المطلقة والنظم الديكتاتورية التي تتميز بطابعها السري المبالغ فيه، والذي يشمل مختلف جوانب الحياة العمومية، بمعنى أن النقاش حول القضايا التي تمم أكبر قطاع واسع من الناس لا يجب أن يظل محاطاً بالسرية وبالتالي يحرم كثير من الناس من إدراك ما جرى في هذا النقاش أو الحجج المعارضة التي عرضت فيه حتى يمكن الانخراط فيه أو اتخاذ موقف منه.
 - إن فاعلية هذا التوسط تكمن في قواعد الاستخدام العام للحجة والتي تفرض المساواة بين الأشخاص في النقاش وهذا يقتضي عدم الإقصاء.
 - إن مبدأ النقاش الذي يتداول الشأن العام بفضل النشر أو الإعلان يكون مآله تشكيل الرأي العام الذي يعبر عن توافق الآراء حول الشأن العام.
 - إن الفضاء العام هو مكان لإعطاء شرعية للسياسي ومسرحاً لبروز ما هو سياسي، فهو مجال لإعطاء شرعية للديمقراطية المسجدة في حرية التعبير وحرية إبداء الرأي وتقديم الحجة.
 - يأخذ الفضاء العمومي صبغة فيزيائية (شارع، حي) ومؤسسية (المدرسة، الجامعة، المسجد، البرلمان) أو صبغة تواصلية (منتديات الأنترنت، التلفزيون، الإذاعة، الصحافة المكتوبة) للفصل بين البعدين: البعد العملي والنظري، ويقترح البعض تسمية البعد الثاني بالمنتدى، ويتشكل هذا البعد عبر ثلاث شروط أساسية هي:

1. التوسط

2. الاتصال

3. المشاركة

وهذا ما يعطى له امتدادا اميريقيا.

والمجال العام كما طرحه هيسبك Huspek 2007 يكتسب مجموعة من المزايا: الأولى التماثل بين الأفراد بصرف النظر عن القوة المختلفة، والتباينات الاجتماعية، وأهداف مؤسساتية لها نفس أهداف جماعة المصالح، والثانية الرغبة المستمرة لتحفيز الآخرين بعضهم لبعض على المشاركة بالوسائل العقلية لا بوسائل الإكراه والإكراه، والثالثة جهود تحفيز الأفراد بعضهم لبعض للمشاركة حتى يتجه إلى الحوار بعنصر إرادة وبحرية وشفافية، ويرتبط المجال العام الواقعي في تشكيله بمجموعة من القيم على رأسها قيم الشفافية والعقلانية والعمل الجماعي، والمجال العام يتطلب هوية جماعية لها صفة التجانس إلى حد كبير، والمبرر الأساسي هنا لهذه الهوية الجماعية والتجانس الالتفاف حول المشكلات والأهداف المشتركة¹.

إن فكرة "المجال العام" في نظر هابرماس تشكل موردا مفاهيميا من شأنه أن يساعد في التغلب على مثل هذه المشاكل، وتشير fraser إلى ان المجتمعات الحديثة حيث يتم تنفيذ المشاركة السياسية من خلال الحديث إنها مساحة يتم فيه تداول المواطنين شؤونهم المشتركة، وبالتالي فيها ساحة مؤسسية للتفاعل الخطابي².

إن التفكير في الفضاء العمومي هو التفكير في عملية التواصل التي تقوم بين أفراد المجتمع من أجل تحقيق التفاعل والاندماج الاجتماعي، إذ تقول Arendt Hannah يستعمل الفضاء العمومي لتبادل الآراء والأفكار والجماعات، حيث إن فكرة الرأي العام أصبحت مرتبطة بمفهوم الفضاء العمومي³.

فروض نظرية المجال العام: تفترض النظرية ألا يكون هناك أية قيود من قبل السلطة السياسية التي تحد من العملية التفاعلية داخل المجال العام، فالعملية التنويرية التي تتم بداخله تكسب الأفراد المشاركين معنى جديد للمشاركة يعكس عقلانيتهم أثناء الحوار، فقد أشار هابرماس إلى أربع افتراضات أساسية لتشكيل المجال العام وهي⁴:

¹ أماني المهدي، المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي: معايير التشكل والمعوقات، المركز الديمقراطي العربي، متاح على الرابط: [المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي: معايير التشكل والمعوقات - المركز الديمقراطي العربي](#)، تم الاطلاع عليه يوم: 2025/02/06.

² Nancy Fraser, Rethinking the Public Sphere A Contribution to the Critique of Actually Existing Democracy, DUKE University Press, No. 25/26, 1990, p 57.

³ جودي سكيينة ونورية سوامية، دور الفضاء العمومي في تشكيل التواصل الاجتماعي، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد 2، 2021، ص 156.

⁴ كلاعي سارة وبوذن بشرى والبكري أسماء، تمثيلات الحراك الجماهيري العربي في الوسائط الجديدة: دراسة تحليلية للنقاشات الافتراضية في ضوء نظرية الفضاء العمومي، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945، قلمة، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، 2020/2019، ص 57.

- **الفرض الأول:** إتاحة حيز ما للأفراد، يمكنهم من المناقشة والحوار حول القضايا الهامة، وتبادل المعلومات والآراء، بناء على مبدأ المساواة فالمستوى الاجتماعي والاقتصادي لديهم لم يمثل شرط من شروط المشاركة في الحوار.
- **الفرض الثاني:** يرى أن كثرة وتعدد الجماهير في مجالات عامة متعددة يبتعد عن فكرة المجال العام الديمقراطي الذي ينبغي أن يكون مجال عام واحد شامل يربط بين جميع الأفراد في المجتمع (الفضاء العمومي يحتاج إلى جمهور توافقي ومنسجم).
- **الفرض الثالث:** ينبغي أن يركز الخطاب في الفضاء العمومي على المصلحة المشتركة والعامة، ويستبعد المشاكل الخاصة.
- **الفرض الرابع:** يقتضي السير الحسن للفضاء العمومي ضرورة الفصل الواضح بين الدولة والمجتمع المدني.

المجال العام في السياق الافتراضي:

أسهمت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في إعادة إحياء المجال العام لما تمتلكه من إمكانيات تكنولوجية عالية خلقت مجالا للمناقشة والحوار ذات الطابع السياسي ومكنت الأفراد من الوصول إليها، والتكيف مع الثقافة السياسية السائدة في ظل الأنماط الرأسمالية العالمية، وتركزت نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية وبصفة خاصة شبكة الانترنت تخلق حالة من الجدل بين الجماهير؛ تؤثر على الحكومات والجماهير والنخب¹.

عرف Dahlgren المجال العام الافتراضي بأنه "عملية تفاعلية تتم بين المواطنين خلال المجالات الخطابية عبر استخدام وسائل الإعلام الجديدة، وهنا أشار إلى أن هناك نوعي من التفاعل: الأول يتم من خلال تفاعل المواطنين مع وسائل الإعلام الجديدة عبر العملية التوافقية، والثاني يتم ن خلال تفاعل المواطنين مع بعضهم البعض، بحيث يمكن أن يشتمل على محادثات بين شخصين أو أكثر"².

عرف الباحث Bentivegna الفضاء العام الافتراضي بأنه مجال عام يختلف عن المعنى التقليدي لهذا المفهوم، يعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف منصاتهما وتطبيقاتها، كما أشار كليبر أن المجال العام في الوقت الراهن يعتمد على قدرة النشطاء والفاعلين السياسيين بمجتمع ما على توظيف ميزة التفاعلية التي جعلت المواطن منتجا للرسالة

¹ صبري خالد عبد الهادي، شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب السيناوي "دراسة ميدانية" مجلة البحوث الإعلامية، العدد 57، 2021، ص 777.

² صبري خالد عبد الهادي، مرجع سابق، ص 777.

والمعلومة، وليس مجرد متلق لها، مما دعا إلى ضرورة إعادة تعريف المجال العام الذي أصبح يتضمن وسائل الإعلام وشبكات إلكترونية متنوعة، نظرا لما توفره من قنوات للمشاركة والتعبير عن الرأي، بالإضافة إلى قدرة المستخدمين لها على التنسيق بين مشاركتهم الفعلية في العملية السياسية بالمجتمع الواقعي والمشاركة الإلكترونية بالفضاء الافتراضي التي مكنت المواطن من لتفاعل والمشاركة دون حواجز مكانية أو زمانية عززت الديمقراطية الرقمية¹.

ومثلت مواقع الشبكات الاجتماعية لشريحة واسعة من المستخدمين مصدرا أساسيا للنفاز إلى الأخبار والمعلومات، إذ يتم الاعتماد عليها لمعرفة ما يجري من أحداث أو متابعة قضية ما، فمن خلال تعليقات المستخدمين ونقاشاتهم والروابط التي يدرجونها على صفحاتهم سواء على الفيسبوك أو التويتر سابقا (X) يمكن رصد أهم المسائل الآية محط الاهتمام والمتابعة فالإنتاج الإلكتروني لهؤلاء المستخدمين يعكس الواقع بمختلف جوانبه السياسية الاجتماعية الثقافية².

وأدى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، facebook, linkedIn, Twitter, flicker, Instagram, Youtube في المناقشات العامة وخاصة في المجال السياسي، إلى تعزيز الحريات من خلال حرية الخطاب الذي يقدمه المشاركون عبر هذه الأدوات التي تعمل على طرح جميع الآراء دون قيود. كما مكنت المستخدمين من الحصول على المعلومات بسهولة وفي أقل وقت ممكن، كما مكنتهم أيضا من تبادل الأفكار ومناقشتها وتكوين ما يعرف بالرأي العام الإلكتروني وعملت على تعزيز الديمقراطية إلى جانب صعود الحركات السياسية عبر تجميع ملايين البشر خلالها، كما مارست دورا مهما في إبراز الحركات الناشئة، وتمكين مشاركة المرأة في الحياة العامة والسياسية كما عملت على تمكين المدونين ونشطاء الفيسبوك الذين يشاركون في التفاعلات والأنشطة السياسية والاجتماعية الافتراضية من نشر مبادئهم للعديد من الأفراد، بما يساعد في إمكانية حدوث تغييرات سياسية أو اجتماعية عبر تنسيق الأنشطة المتبادلة وكسب اهتمام المستخدمين الآخرين³.

¹ رويدا أحمد طلب محمد، مرجع سابق، ص 176.

² حنان حاجي ومصطفى ثابت، ملامح جندرة الفضاء العمومي الافتراضي ومشكلاته عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 2، 2022، ص 128.

³ صبري خالد عبد الهادي، مرجع سابق، ص 778.

يتميز الفضاء العمومي الافتراضي ببعض الخصائص عن نظيره الفضاء العمومي التقليدي وفقا للمستويات التالية¹:

- إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص: مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية ولاستعراض الذات في المجال العمومي يطل من خلالها الناس على العوامل الذاتية للآخرين وأضحى الأفراد كما الجماعات كما المؤسسات مطالبين بإعادة توقعهم به، وهو ما يستوجب من الفاعلين تكويننا عاليا ومعرفيا عاليا للإفادة من ذلك.
- أشكال جديدة من الفعل الاجتماعي؛ حيث سمحت مواقع التواصل الاجتماعي للنخب السياسية المهمشة بتجاوز آليات تغييبها من المجال العمومي التقليدي الذي تسيطر عليه الدولة وشكلت فضاءات يحكمها الانسجام الفكري تنتج مضامين سياسية ثقافية.
- جماليات جديدة: تتخلي في الفضاء العمومي الافتراضي العوامل الذاتية والآراء والأفكار العلاقة بالشأن العام، وتجلي هذه الجماليات الجديدة في الطرق التعبيرية للمستخدمين من صور ونصوص وفيديوهات.
- المستخدم المبتكر: تحول الجمهور في الفضاءات العمومي الافتراضي إلى جمهور منتج للمحتوى فهو ليس مجالا تمثيلا تتحدث فيه النخبة باسم الجماهير كما في الفضاء العمومي النخبوي، فالمستخدم في الفضاء العمومي الافتراضي يبتكر وينتج مضامين قد تتعلق بالعوامل الذاتية للمستخدم أو ذات العلاقة بالحياة العامة.
- نخب جديدة: أفرزت مواقع التواصل الاجتماعي نخبًا جديدة تتكون من المدونين ومشرفي الصفحات على الفيسبوك يسيطرون على النقاش ويديرونه.

¹فريدة صغير عباس، تجليات الفضاء العمومي الافتراضي من خلال التفاعل الافتراضي عبر المجموعات الافتراضية، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات العدد 4، أكتوبر 2018، ص 122.